العرب
الإثنين 2020/02/24
السنة 42 العدد 11627

التنظيم الدولي للإخوان يذكّر النهضة: «إحنا دافنينو سوا»

عزام التميمي يتبرم من تنصل النهضة من الجماعة ويتفهم مبرراتها

تفاعلا مع الأوضاع السياسية الجديدة في تونس وما طبعها من أزمة تشكيل الحكومة وموقف النهضة من المشاورات السياسية، خصصت قناة الحوار الفضائية التي تبث من لندن، قسما مهما من برنامج "حوار لندن" للتفاعل مع مستجدات السياسة في تونس عبر طرح سؤال "لماذا غيرت حركة النهضة موقفها من تشكيل الحكومة في تونس؟" وفي هذا البرنامج انتقد عضو التنظيم الدولي للإخوان المسلمين، عزام التميمي، إنكار حركة النهضة لانتمائها الإخواني.

حساسيات شخصية تفشي الأسرار القديمة

عبدالجليل معالي
كاتب وصحافي تونسي

خُصص القسم الثاني من برنامج "حوار لندن" الذي بث الجمعة الماضي، على قناة الحوار الفضائية لبحث خلفيات تشكيل الحكومة في تونس، وبالتحديد تغيير حركة النهضة لموقفها من الحكومة، حيث وافقت على تشكيل الحكومة بعد أن كانت تشترط ضرورة إشراك حزب قلب تونس في المشاورات وفي الحكومة. هنا حاول كل المتدخلين تبرير تغيير النهضة لموقفها من المشاورات.

مفيد التذكير هنا بأن الحضور في البرنامج يغلب عليه التوجه الإسلامي، إذ ضم البرنامج، إلى جانب عزام التميمي، كلا من محمد أمين ومحمد عايش وأسامة جاويش وجلال ورغي (وهو قيادي في حركة النهضة).

> كلام التميمي ولئن يعبّر عن تفهم للأوضاع «غير السويّة» التي تواجهها النهضة، فإنه يضمر تبرما من تبرؤ الحركة من الإخوان

المسألة المهمة في البرنامج كانت في تدخل عزام التميمي، حين حاول "تفهم" التقلبات السياسية التي تمارسها حركة النهضة، بأن أرجعها إلى أن الحركة تواجه وضعا سياسيا خاصا يتمثل في أنها تواجه مظاهر وتمثلات "الثورة المضادة"، ما جعلها تضطر دائما إلى أن تناور وتتقلب، وهو السلوك الذي اعتبره بقية المتدخلين بمثابة "حكمة النهضة" التي تنحني لكي تمر العواصف.

عزام التميمي، مدير معهد الفكر السياسي الإسلامي بلندن وعضو التنظيم الدولي للإخوان المسلمين، ذهب أبعد من زملائه في تفهم النهضة وفي نقدها في آن. حيث قال "منذ أن أُعلن عن الفصل بين الدعوي والسياسي، ثمة رسائل تصدر عن حركة النهضة تشي بوجود خوف على التجربة وخوف على الحركة نفسها. وبعض من تكلم في وقت من الأوقات باسم الحركة داهن وبالغ في المداهنة. التبرؤ من الإخوان المسلمين حصل علانية من قبل أكثر من شخصية، الذين عندما كانوا معنا هنا في بريطانيا كنا 'دافنينو سوا' مثل ما يقول المثل المصري. الإشكال هو أن حكمة النهضة، هل يراها الآخرون من الخارج فعلا حكمة، أم يرونها شيئا آخر؟".

كلام عزام التميمي عن النهضة وعن تبرئها من الانتماء إلى تنظيم الإخوان المسلمين، كان منفتحا على أكثر من وجه للقراءة والتأويل.

كابدت النهضة كثيرا خلال السنوات الأخيرة، في إثبات تحولها إلى حزب مدني، خاصة تجاه التهم التي وجهت لها من قبل أوساط كثيرة في الساحة السياسية التونسية بكونها استغلت المساجد والخيمات الدعوية ومختلف التعبيرات الدينية في نشاطها الحزبي، وازداد المأزق النهضوي على خلفية اغتيال شكري بلعيد ومحمد البراهمي في العام 2013، والتي جعلت أطرافا مدنية وسياسية كثيرة تطالب بمنع الأحزاب المتكئة على أرضيات دينية من العمل السياسي. كل هذه الخلفيات اضطرت النهضة إلى أن تكافح من أجل الإيهام بأنها حزب مدني لا علاقة له بتنظيم الإخوان. أعلنت في ختام مؤتمرها العاشر في مايو 2016، فصل الدعوي عن السياسي (إعلان التخصص داخل الحركة في العمل السياسي، وترك النشاط الدعوي للمنظمات المدنية) مع التأكيد في البيان الختامي للمؤتمر على أن المرجعية الإسلامية تظل قوة توجيهية.

يذكر أن عماد الخميري، عضو مجلس شورى النهضة، الذي شغل منصب الناطق الرسمي باسمها وعضو لجنة الإعداد للمؤتمر العاشر، صرح بأن "الحركة لا تربطها أي علاقة تنظيمية مع الإخوان المسلمين"، وأن "النهضة هي حركة تونسية". وقال إن "المراجعات الفكرية التي وقعت هي من قبيل التطور الطبيعي للحركة".

على أن كلام التميمي الذي يعكس موقف التنظيم الدولي للإخوان من الحركة ومن مواقفها، ولئن يعبّر عن "تفهم" إخواني للأوضاع "غير السويّة" (على حد تعبير التميمي) التي تواجهها النهضة في تونس، ويترجم نوعا من الاعتداد بالرصانة النهضوية مقارنة بالتسرع الذي مارسته جماعة الإخوان في مصر أثناء تجربة حكمها، فإنه لا يخفي أيضا نوعا من التبرم من تبرؤ النهضة من الإخوان. تبرم عبّر عنه التميمي ساخرا "إحنا دافنينو سوا".

الثابت أن أعضاء التنظيم الدولي للإخوان أكثر من يعرف حقيقة الحركة وما يسود داخلها من اعتمالات وصراعات ومناورات، وبالتالي فإن التنظيم الدولي هو أيضا أكثر من يعرف مدى صحة ادعاء النهضة بتحولها إلى حزب مدني.

الواضح أيضا أن إعلان قياديين نهضويين كثر عن عدم وجود صلات تجمعهم بجماعة الإخوان المسلمين، وتأكيدهم أن النهضة حزب مدني وطني تونسي، أثار حفيظة القواعد أكثر مما أثار تبرم قيادات التنظيم التي تلتمس دائما مبررات سياسية وتكتيكية لسلوك النهضة.

بعد آخر مهم ومحدد في ما ورد في كلام التميمي عن النهضة هو البعد الشخصي. ذلك أن أمثال التميمي وراشد الغنوشي وغيرهما، اشتغلوا سويا طيلة سنوات في لندن، ما جعل علاقاتهم تتوطد وتتطور وتتحول إلى ما يشبه الصداقة، حيث كان التميمي محاور الغنوشي في قناة الحوار الذي كان ضيفا شبه دائم على البرنامج زمن الإقامة في لندن ومعارضة نظام زين العابدين بن علي. اليوم تغير وضع الغنوشي الذي أصبح رئيسا لمجلس النواب وأحد أكبر الفاعلين السياسيين في البلاد، وهو ما يمكن أن ينتج ضربا من الحساسيات الشخصية التي يمكن إن تطورت أن تدفع باتجاه خروج الأسرار وإشاعتها، وهو ما سمح للتميمي بالقول إن هؤلاء "كانوا معنا هنا في بريطانيا وكنا دافنينو سوا".

المفارقة أن ما ورد في موقف التميمي لم يجد أي تفاعل من جلال الورغي، القيادي في حركة النهضة، الذي كان صرح في 26 مايو 2016 بأن "حركة النهضة تفتخر بعلاقاتها بجماعة الإخوان المسلمين ولديها روابط فكرية وثقافية معها".

لم يخل نقد التميمي للنهضة من محاولته إبداء تفهم سياسي لسلوكها وتقلباتها، حيث قال "لو وضعنا أنفسنا مكان المواطن التونسي، الذي يرى ما يجري في مصر سوريا وفي ليبيا وفي اليمن، ربما يكون الناس أميل إلى تفهم ما يجري (إشارة إلى مواقف النهضة وتبرئها من الإخوان). الأوضاع في تونس هي أوضاع غير سوية".

حاول عزام التميمي، مثله مثل أغلب قيادات التنظيم الدولي للإخوان المسلمين، أن يمسك العصا من وسطها، حيث وجه نقدا أو سخرية لادعاء النهضة تبرئها من جماعة الإخوان، لكنه في الوقت نفسه ركز على مواطن كثيرة لتفهمه لسلوك النهضة، وهو موقف يضمر أن الأهم عند التنظيم والجماعة هو بقاء الحركة في السلطة والحكم، بعد أن انحسر نفوذ فروع الجماعة في أكثر من قطر عربي وإسلامي. يمكن أن يقبل التنظيم الدولي تكتيكيا تنصل حركة النهضة أو حتى انسلاخها، أولا لأنه يولي مسألة البقاء في الحكم أهمية أكبر من الصلات التنظيمية، وثانيا لأنه يدرك أن تلك التصريحات هي تصريحات موجهة للاستهلاك السياسي الداخلي ولطمأنة بعض الجهات في الخارج، أما حقيقة الصلات، فيمكن اختصارها في أنهم "دافنينو سوا".

قائد شبح مبتورِ الرجل يخوض صراعا وجوديا على خلافة داعش

أثار مقتل أبي بكر البغدادي، أزمات مركبة داخل تنظيم داعش الإرهابي، تتداخل فيها الأبعاد الدينية مع العوامل الأمنية ومع المنطلقات الأيديولوجية. المعركة على خلافة البغدادي أكدت أن التنظيم يعيش أزمة داخلية عميقة وانقساما حادا، تزداد خطورة مع ما أفرزه السياق الإقليمي والدولي الذي وضع التنظيم وأنصاره في زاوية الحصار والإيقافات والتصفيات.

هشام النجار
كاتب مصري

كان لزاما على أبي بكر البغدادي الظهور عبر مقطع فيديو في أبريل الماضي ليثبت أنه ما زال على قيد الحياة، كي يدعم موقف مناصريه في مواجهة المتمردين والمشككين داخل التنظيم المتشدد. أما خليفة التنظيم الجديد، وهو على أرجح الأقوال رفيق البغدادي في سجن بوكا حجي عبدالله قرداش التركماني، المكنى بـ"أبوإبراهيم الهاشمي القرشي"، فيحتاج لإسكات المناوئين والمنشقين الذين قويت شوكتهم بعد مقتل البغدادي إلى الظهور ليثبت أنه سليم ولا يشكو من نقص أحد أعضائه ليبرهن أهليته لمنصبه الجديد.

افتتح من كانوا ضمن مكتب البحوث الشرعية بتنظيم داعش بعد أن غادروا التنظيم على وقع خلاف دام حول مسائل فقهية عديدة، منصات خاصة بهم، من ضمنها مؤسسة التراث العلمي التي تعبر عن أفكار تيار تركي البنعلي الذي يعتنق آراء أقل تشددا في مسائل التكفير والعذر بالجهل من تيار آخر هو التيار الحازمي.

كتب منشقو داعش على صفحات منصاتهم الإعلامية قبل أيام، "خليفة داعش الجديد حجي عبدالله قرداش لا تتوافر فيه الشروط الواجب توافرها في الخليفة لكونه مبتور القدم اليمنى".

صار الانقسام على خلفيات الجدل الفقهي أسوأ داخل داعش بعد غياب البغدادي، فالمنشقون طلبة علم وشرعيون غارقون في الجدل الفقهي، يشعرون الآن بعد مقتل الخليفة والقضاء على غالبية قادته بالمعارك أنهم في موضع قوة يمنحهم فرصة الثأر لأنفسهم ولرفاقهم الذين تم إعدامهم، عندما لم يجد قادة داعش الأمنيون والعسكريون حلا لوقف نزيف الانقسامات سوى الحد من نفوذ الشرعيين وتصفية النافذين.

عدم مشاهدة أو سماع قائد داعش الجديد ولد أفكارا لدى منافسيه، لأن من انشقوا لا تزال لهم ارتباطات بشخصيات نافذة داخل التنظيم، وواضح أن هناك من يحرك أوراقا للضغط على الخليفة الجديد للظهور والكشف عن نفسه ربما ليلقى مصير سلفه البغدادي.

دفع البغدادي ثمن ظهوره حياته، ومن دفعوه إلى ذلك من داخل التنظيم خططوا لهذا المصير، فحتى يهدئ غضب الناقمين على اختفائه ويسكت أصوات المشككين بشأن مسؤوليته عن قراراته غامر بظهوره المصور الذي لم يلبث بعده طويلا حتى تم تعقبه وقتله بمعرفة الاستخبارات الأميركية.

في حين يجد الخليفة الجديد نفسه بين ظهور باهظ الكلفة من شأنه التشكيك في أهليته لمخالفته شروط الإمامة التي تقتضي سلامة الحواس والأعضاء، وبين حرصه على متطلبات الأمن الذي يحول دون بسطه لسلطته ويضعف موقفه أمام منتقديه داخل الصف الجهادي ممن يقولون إنه لا خلافة من دون خليفة.

لا يكفي قرداش الكشف عن هويته والتحدث علنا للخروج من شبهة البيعة المجهولة كما صنع البغدادي على منبر المسجد الكبير بالموصل عام 2014، بل يحتاج إلى شكل من أشكال التمكين كي يلهم الحركة ويستقطب الأتباع.

وصف أحد المنشقين عن داعش التنظيم بوضعه الحالي بـ"الأجوف الذي ليس فيه من حقيقة الدولة شيء"، مستدلا بكلام لتركي البنعلي الذي كان أحد من درسوا الفقه والعقيدة لأبي بكر البغدادي قبل انشقاقه ومقتله بشأن ضرورة توفر القوة والشوكة والتمكين لتستكمل الخلافة مقوماتها وشروط صحتها.

تؤشر التوترات داخل داعش بين غلاة في التكفير وتيار أقل تشددا (الحازمية والبنعلية) التي ورثها الخليفة الجديد من سلفه، بالنظر لدورها في إضعاف التنظيم من الداخل وإضعاف سلطة البغدادي نفسه وما خلفته من ثارات بين الجناحين العسكري والشرعي، يبدو أن حجي عبدالله قرداش سيواجه صعوبات جمة في إدارة المرحلة المقبلة.

يصبغ الانقسام الأيديولوجي مرحلة قرداش لكونه طرفا في هذا الصراع بالنظر لما انتهى إليه، مؤديا إلى اقتتال داخلي وإلى إضعاف التنظيم في ذروة احتياجه للتماسك أمام خصومه من الخارج خلال عامي 2018 و2019.

تأرجحت القيادة المركزية لداعش منذ أواخر 2015 بين التيارين المتصارعين، وكلما ألمحت بالانحياز لفريق تمرد الآخر، إلى درجة لجوء القيادة إلى إصدار بيانات وقرارات متضاربة لإرضائهما معا، وصولا إلى تهميش الشرعيين باعتبارهم أساس المشكلة وفرض سيطرة الأمنيين والعسكريين على التنظيم.

تصدعات ما بعد البغدادي

انتهى داعش إلى إعلان تولية أبي إبراهيم الهاشمي الذي ذهبت التأويلات بأنه هو حجي عبدالله قرداش، الذي شرّع أوسع عمليات التكفير والاستحلال والاستعباد ضد الأقليات، وساهم بخبرته الأمنية كضابط أمن سابق في عهد صدام حسين في أشرس عمليات القتل والتفخيخ ضد خصوم التنظيم.

يظل الدور الذي لعبه قرداش أثناء شغله منصب نائب البغدادي وأمير اللجنة المفوضة، وهي الهيئة الإدارية العليا للتنظيم، هو العامل الأخطر الذي أسهم في الفتّ في عضد التنظيم وفقدانه غالبية قياداته، عندما منح صلاحيات واسعة للأمنيين بحجة تقديمه مصلحة الدولة على الخلافات العقائدية، ما أدى إلى اختراق التنظيم ونجاح التحالف الدولي في تصفية أكثر من أربعين شخصية من هيكل داعش القيادي.

لا ينتقد المنشقون عن داعش الخليفة الجديد فقط على خلفية الطعن في أهليته بسبب قدمه المبتورة وفقدانه شرطا من شروط الإمامة، إنما لأنهم يعلمون أن قرداش، هو السبب الرئيسي في كل الخطايا التي تورط فيها التنظيم، والمسهم الأكبر في الخلل ببنيته التنظيمية والفكرية وفي تدميره من الداخل عبر تغليب سلطة الأمنيين وملاحقة الشرعيين.

تشكيك المنشقين في شرعية القرشي راجع إلى عدم تصديق البعض منهم أن تسند مهمة إعادة بناء التنظيم لشخص تسبب في إضعافه من الداخل وفشل في إدارة الخلاف بين مكوناته عندما كان البغدادي معزولا ولا يعلم شيئا عما يحدث، وفُوضت الصلاحيات لقرداش والهيئة العليا واللجنة المفوضة.

> تمهد تسمية قرداش خليفة للبغدادي لشروخ أكبر في جسد داعش، نظرا إلى القوة التي اكتسبها المنشقون من استقلاليتهم

تمهد تسمية قرداش خليفة للبغدادي لشروخ أكبر في جسد داعش ولحالات تمرد على نطاق أوسع، بالنظر للقوة التي اكتسبها المنشقون من استقلاليتهم ما جعل إعلامهم ينافس إعلام داعش، معتمدين على إثارة معضلات فقهية وعقدية يتهرب إعلام التنظيم الأصلي من التصدي لتفنيدها والرد عليها.

يقدم المنشقون أنفسهم كتيار معارض ساع لإقامة دولة إسلامية نقية تتوخى عدم الوقوع في المخالفات التي ارتكبها البغدادي ومن معه، يسمونهم ابن عواد وعصابته، ويستهدفون استقطاب كل المقاتلين "الصادقين" الذين لا يزالون يقاتلون تحت راية داعش.

تواجه الخليفة المزعوم لداعش تحديات معقدة، فمع فقدان الأيديولوجيا المتعلقة بروايات حروب آخر الزمان بالشام والخليفة الثاني عشر القرشي جاذبيتها، وتنامي الحضور الإعلامي للمنشقين سوف يظل التصدع الداخلي عقبة أمام استعادة داعش امتداده العالمي، ولن تكفي القبضة الأمنية كأداة لقيادة الفروع المتفرقة، مع تسمية شخص بالكاد يحرص على تجنب مصير سلفه.